المقدمـــة

فى عهد رسول الله ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين وبخاصة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما اتجهت الأنظار إلى القرآن الكريم، وكان القرآن يدوَّن أولاً فأولاً، ولم يكن يدوَّن الحديث خشية أن يختلط بالقرآن، وقد رُوِى عن الرسول أنه نهى عن كتابة غير القرآن، فقال فيما رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى " **لا تكتبوا عنِّى ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدِّثوا عنى ولا حرج ، ومن كذب علَّى متعمداً فليتبوأ مقعده من النار** ".

وكان هناك ضمان لسلامة القرآن وهو أن الرسول كان يحدِّد مكان الآيات الجديدة فى كل سورة من السور، ولم يكن الحديث كذلك، إلا عند النقل عن الرسول مباشرة، فإذا كان النقل عن طريق إنسان آخر فإن الخلط كان محتملاً، ولذلك تحاشوا كتابة الأحاديث.

وهكذا كان كل الاهتمام فى العصر الإسلامى الأول للقرآن ليدوَّن وينشر ويحفظ، وكان بعض الخلفاء الراشدين مبالغة منهم فى الحرص على القرآن يمنعون الصحابة من التحديث عن الرسول ﷺ .

وما دفعهم لذلك ظهور بادرة خطيرة وهى الوضْع فى الأحاديث التى كانت تنسب للرسول ﷺ منذ العهد المبكر مما وجّه نظر المسلمين إلى ضرورة تدوين الحديث المروى عنه ﷺ حتى يُقفل الطريق أمام وضّاع الحديث.

ولكن ليس هذا هو السبب الوحيد فى اهتمام المسلمين بتدوين الحديث فهناك أيضاً سببان آخران دفعا للتحديث عن الرسول، السبب الأول: ويرويه الإمام البخارى فى صحيحه ، فقد روى أن أبا هريرة ﷺ قال: إن الناس يقولون إننى أكثرت من الرواية عن الرسول ، ولولا آيتان فى كتاب الله تعالى ما حدَّثت حديثا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠].

والسبب الثانى:أنه بعد أن اتسعت الفتوحات الإسلامية انتشر الصحابة رضوان الله عليهم بها لينشروا أحكام الإسلام وسنة الرسول ﷺ ، وكان لزاما على أئمة

الحديث بعد ذلك أن يتتبعوا السنة ليجمعوها من سائر الأقطار المختلفة التى انتشر فيها الصحابة، وكان طريقهم فى هذا إنما "هو الرحلة" فى طلب السنة، فشمروا عن ساعد الجد، ورحلوا لمسافات شاسعة، وربما قام الواحد منهم برحلات عديدة حتى كان ينسب إلى أكثر من بلد فيقال عنه: المكى ثم المدنى ثم الشامى ثم المصرى... وهكذا، إشارة إلى أنه رحل إلى تلك البلاد المتعددة طلبا للحديث الشريف.

وكما كان للصحابة أثرهم فى نقل السنن ونشرها، فقد كان لهم أثر كبير آخر فيمن تخرج على أيديهم من التابعين، فكم كانت حاجة المسلمين ملحة لتدوين الحديث فى تلك الفترة.

وجاء عصر التابعين الذين تلقوا عن الصحابة ما حفظوه من أحاديث الرسول ، وكان هؤلاء التابعون يدونون بعض ما يحفظون منه ، وأخذ تدوين الحديث يزيد شيئا فشيئا وخاصة أن القرآن الكريم كان قد استقر تدوينا وحفظا ولم يَعُدْ هناك خوف من اختلاطه بالحديث ، وأصبح الخوف من ضياع أحاديث رسول الله ، أو اختلاطها بما يضعه واضعو الأحاديث .

وكان للخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز دور كبير فى تدوين أحاديث الرسول، فقد كتب إلى الآفاق:"انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه".

وكتب إلى أبى بكر محمد بن عمر بن حزم التابعى يقول له: اكتب إلىَّ بما يثبت عندك من الحديث عن رسول الله فإنى قد خشيت فناء العلم وذهاب العلماء.

وكتب إلى كثير من التابعين بهذا المعنى ، وجُمعت بذلك مجموعة كبيرة من الأحاديث .

يقول ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ؛ سمعت ابن شهاب يقول: أمرنا عمر ابن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها فى دفاتر، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترا .

وفى منتصف القرن الثانى الهجرى نشط تدوين الأحاديث وشَغل به مالك ومحمد بن إسحاق بالمدينة،وابن جريج بمكة، وسفيان الثورى بالكوفة، وحماد ابن سلمة بالبصرة ومعمر بن راشد باليمن، وعبد الله ابن المبارك بخراسان، والأوزاعى بالشام والليث بن سعد بمصر ، ولم يصلنا من هذه إلا موطأ الإمام مالك .

ثم جاءت الطبقة الثانية من جامعى الأحاديث على رأس المائتين ، وكانت خطتها أن ترتب الأحاديث حسب رواتها من الصحابة، فيجمعون ما روى عن أبى بكر ثم ما روى عن عمر ، وهكذا ، ولذلك سميت هذه الكتب كتب الأسانيد،وقد نهج أحمد بن حنبل فيما بعد نهج هؤلاء، ولذلك سمى كتابه (مسند أحمد) وهو أشهر ما وصل لنا من كتب الأسانيد .

وفى القرن الثالث الهجرى نشطت حركة النقد وتمييز الصحيح من الضعيف ، وتعديل الرجال وتجريحهم ، ووُضعت أسس مصطلح الحديث ، وقد كان ذلك نتيجة لنشاط حركة وضع الأحاديث ونسبتها للرسول ﷺ، فأخذ علماء الحديث يجمعونها ويزنونها بهذه المقاييس ويختارون منها الصحيح فيدوّنونه .

ومن أشهر العلماء الذين أسهموا فى هذه الحركة البخارى ومسلم، وقد بذل البخارى على الخصوص نشاطا عظيما وجهداً كبيراً فى تحقيق الأحاديث فجاء كتابه " صحيح البخارى " أشهر كتب الأحاديث وأهمها ، ويليه باقى كتب الأحاديث الستة المشهورة وهى ، صحيح مسلم ، وسنن ابن ماجه، وسنن أبى داود ، وجامع الترمذى، وسنن النسائى ، ويلحق بها مسند أحمد بن حنبل سالف الذكر، وسنتناول هذه الكتب ولكن فى جزء آخر من الموسوعة لأننا فى هذا الصدد نترجم لأشهر رواة الحديث من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين بعدما نتحدث فى فصل تمهيدى عن السنة وأقسامها وشروط اختيار العلماء لرواة الحديث وللأحاديث من حيث مضمونها ومعناها.

* * *

المؤلف

متولى الجرجاوى